

A review of Abd al-Haq al-Marini's services to Moroccan literature: A case study of jihad poetry [In Arabic]

Khaled Al-Touzani ^{1*}

1 Professor and researcher of literature and linguistics,
University of Sidi Mohamed Ibn Abd Allah in Fes, Morocco

*Corresponding author: touzani79@hotmail.com

DOI: 10.22034/jltll.2021.528506.0

Received: 10 Aug, 2020

Revised: 27 Apr, 2021

Accepted: 17 Aug, 2021

ABSTRACT

The present study tries to show some of the efforts of the Moroccan historian and writer, Dr. Abdel Haq Al-Marini, in Moroccan literature by reading one of his works. The book "Jihad Poetry in Moroccan Literature from the Time of Prince Youssef bin Tashfin al-Murabi to the time of Sultan Mawlawi Abdul Rahman bin Hisham Al-Alawi" is the title of a doctoral dissertation on Moroccan literature from Sidi Mohammed bin Abdullah University in Fez, written in 1989 under the supervision of Dr. Abbas Al-Jarari. Finally, it was published in 1996 by the Ministry of Endowments and Islamic Affairs. In this book, he presents his views on the process of creativity in the poetry of Jihad and how to transfer it intellectually to a poetic goal, and this shows the spirit of patriotism and the history of the struggles of a nation. The distinguishing feature of this type of literature from other literary categories lies in its message and content. This means that the works in the field of resistance literature are often a mirror of the pain and oppression of the people who have fallen victim to authoritarian regimes. These works, while inducing hope in the future and promising the promised victory, call for struggle and resistance against oppression, praise of freedom and liberty, respect for the homeland and the martyrs of the homeland in their hearts.

Key words: Resistance Literature, Jihad Poetry, Patriotism, Moroccan Poet.

من جهود المؤرخ الدكتور عبد الحق المريني في خدمة الأدب المغربي: شعر الجهاد نموذجاً

خالد التوزاني^{*1}

١. أستاذ وباحث في الأدب واللغويات، جامعه سيدي محمد بن عبد الله بفاس، المغرب

* الكاتب المسؤول Email: touzani79@hotmail.com

DOI: 10.22034/jilt.2021.528506.0

تاريخ القبول: ١٤٠٠/٠٥/٢٧

تاريخ المراجعة: ١٤٠٠/٠٢/٠٧

تاريخ الاستلام: ١٣٩٩/٠٥/٣٠

الملخص

تحاول هذه الدراسة الكشف عن بعض جهود مؤرخ المملكة المغربية الدكتور عبد الحق المريني، في خدمة الأدب المغربي، عبر قراءة متأنية لأحد مؤلفاته، ويتعلق الأمر بكتابه: "شعر الجهاد في الأدب المغربي من عهد الأمير يوسف بن تاشفين المرابطي حتى عهد السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام العلوي"، وهو رسالة لنيل دكتوراه الدولة في الأدب المغربي من جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس تحت إشراف الدكتور عباس الجراي عام ١٩٨٩، وقد طبعته في جزاين وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية سنة ١٩٩٦، وصدر في طبعة ثانية عام ٢٠١٠، عن منشورات زاوية للفن والثقافة بالرباط. تركّز الدراسة على جملة من النقاط؛ وهي قراءة في المنهج الذي اعتمده الدكتور عبد الحق المريني في مقارنة شعر الجهاد، ثم عرض رؤيته لهذا الاتجاه في الإبداع وكيف حاول التأصيل له ونقله من اتجاه فكري إلى غرض شعري يمثل نبع الوطنية وسجل نضالات أمة، ثم قيمة هذا الكتاب، وآفاق استمرار البحث في موضوع شعر الجهاد، مع التأكيد على دلالات هذا المفهوم الذي يراد به الدفاع عن الوطن والهوية، وليس تلك المعاني الدخيلة عليه والتي لحقته بسبب الإعلام، هذا الأخير خلط بين مفاهيم الجهاد والمقاومة ونضالات الأمم ضد المحتل، ووضعها في سلة واحدة مع الإرهاب والعدوان، حيث إن تنقيح مفهوم الجهاد من الشوائب التي لحقته -اليوم- يعد ضرورة منهجية ومعرفية لكي يظل هذا المفهوم منبعاً للوطنية والفخر بانتصارات الأمم ومنجزاتها، مع ما يترتب عن ذلك من تنمية للحس الوطني وتعميم لتقافة المواطنة. وهكذا، سنلحظ توأماً فاعلاً لشعر الجهاد في الأدب المغربي، متأثراً ومؤثراً في كثير من الأحداث الوطنية، وأيضاً مؤرخاً لعدد من القضايا التي تشغل المغاربة جميعاً، فالكلمة

من جهود المؤرخ الدكتور عبد الحق الميريني في خدمة الأدب المغربي: شعر الجهاد نموذجاً

المدافعة عن الوطن جهاداً له أثره الملموس والصادق، وجمهوره واسع من عموم القراء والأمسيات الشعرية، خاصة وأن بعض المجالات المغربية العريقة قد دأبت على سنة حميدة وهي نشر قصائد وطنية ضمن كل عدد جديد من أعدادها، ونستحضر على سبيل المثال مجلة دعوة الحق، والأکید أن هذه الاستمرارية في شعر الجهاد، لم تقتصر على الكلمة الشعرية المعبرة، وإنما يحضر الجهاد بدلالاته الواسعة ضمن مجالات الفن والتشكيل والموسيقى والتمثيل وغيره، ليؤرخ مسيرة نضال أمة في سبيل إثبات وجودها، والدفاع عن كيانها، وحماية شخصيتها، وتحسين رصيدها الحضاري الزاخر بالأعمال العظيمة.

الكلمات الرئيسية: أدب المقاومة، شعر الجهاد، حب الوطن، شاعر مغربي

تركز الدراسة على جملة من النقاط؛ وهي قراءة في المنهج الذي اعتمده الدكتور عبد الحق الميريني في مقارنة شعر الجهاد، ثم عرض رؤيته لهذا الاتجاه في الإبداع وكيف حاول التأسيس له ونقله من اتجاه فكري إلى غرض شعري يمثل نبع الوطنية وسجل نضالات أمة، ثم قيمة هذا الكتاب، وآفاق استمرار البحث في موضوع شعر الجهاد، مع التأكيد على دلالات هذا المفهوم الذي يراد به الدفاع عن الوطن والهوية، وليس تلك المعاني الدخيلة عليه والتي لحقته بسبب الإعلام، هذا الأخير خلط بين مفاهيم الجهاد والمقاومة ونضالات الأمم ضد المحتل، ووضعها في سلة واحدة مع الإرهاب والعدوان، حيث إن تنقية مفهوم الجهاد من الشوائب التي لحقته -اليوم- يعد ضرورة منهجية ومعرفية لكي يظل هذا المفهوم منبعاً للوطنية والفخر بانتصارات الأمم ومنجزاتها، مع ما يترتب عن ذلك من تنمية للحس الوطني وتعميم لثقافة المواطنة.

المنهج في كتاب شعر الجهاد

أما المنهج الذي اتبعه الدكتور عبد الحق الميريني في كتابه، فهو منهج الظواهر والقضايا، حيث العلاقة التواصلية قائمة بين مفهومي الظاهرة والقضية، باعتبار الأولى "الموضوع الذي نتج عن ظروف وشروط مضبوطة والذي تحددت ملامحه واتضحت سماته وشاع أمره، (والثانية أي القضية) كل موضوع شائك لم تتحدد ملامحه بعد، مع ما يثيره من مناقشات قد تتباين فيها الآراء"، وكون كل منهما "إشكالا أو مشكالا يحتاج إلى أن يضبط ويوثق ويشرح ويفسر ويعلل ويستنتج منه ويربط بعضه إلى بعض"، مما يكشف تواصلهما وإمكان تفاعلها الذي يظهر بوضوح في المنجز الأكاديمي للدكتور عبد الحق الميريني، حيث إن شعر الجهاد يطرح عدداً من القضايا المرتبطة بالجانب الاجتماعي والتاريخي والتوثيقي، وأيضاً له صلة بالجانب

الأدبی والفنی والجمالی، إضافة إلى هيمنة قضية البعد الوطني في الشعر المغربي الذي اتخذ من الجهاد موضوعاً له، والتي يمكن عدّها ظاهرة في حد ذاتها تحتاج لمزيد من تسليط الضوء عليها، وخاصة في ظل ما عرفه المغرب من أحداث وطنية جلييلة؛ مثل إنهاء معاهدة الحماية واسترجاع سيادة المغرب على أراضيّه أي انتزاعه الاستقلال، ثم حدث المسيرة الخضراء واسترجاع الصحراء المغربية، ومسيرة النهضة والإصلاح في عهد جلالة الملك محمد السادس نصره الله، والتي عرفت انفتاحاً عالمياً للمغرب، توجت بالعودة للاتحاد الإفريقي، وبدون شك فإن الأديب المغربي يتفاعل مع هذه الأحداث ويواكب باستمرار المستجدات الوطنية فيؤرخها نظماً ونشراً، انطلاقاً من خصوصية هذا الأدب المغربي عامة والذي تميّز بظاهرة "الواقعية والالتزام"، تعبيراً عن عمق الاندماج في تلك الأحداث، وباعتباره أديباً مغربياً يمتلك وعياً وطنياً وموقفاً ملتزماً بقضايا أمته ودينه وهويته، فينخرط بشكل عفوي في الاحتفاء بأمجاد التاريخ المغربي ماضياً وحاضراً، ويتأثر ويتأثر في الأحداث، فيكون موجهاً لكثير منها، ولا أدل على ذلك من تأثير شعر الجهاد في مقاومة المحتل واستنهاض الهمم للرقى بالوطن والالتفاف حول رموز المغرب من ملوك وعلماء وصلحاء، وأيضاً التشبث بالهوية الوطنية وثوابت الأمة المغربية، كل ذلك كان موضوع الأدب المغربي الذي يعد بحق سجل المغاربة على امتداد عدة قرون.

وقد برز الدكتور عبد الحق الميرني اختياره لمنهج الظواهر والقضايا، بكون هذا المنهج هو الأنسب لدراسة الأدب المغربي ولم شتاتته وتجاوز ثغراته، ومؤكداً في الآن نفسه، أن هذا المنهج يستند إلى الاستقصاء والاستقراء، ويقتضى التعامل مع المادة بموضوعية وعقلانية دون إهمال عنصر التذوق، وأيضاً توظيف مختلف الأدوات الإجرائية التي قد يتطلبها هذا التعامل، في تكامل وتوفيق لا ترقيع فيه ولا تلفيق، ومن ثم فهو منهج يقوم على الوصف والتحليل والنقد إن اقتضى الحال. ويقتضى هذا المنهج -حسب عميد الأدب المغربي عباس الجراري المشرف على أطروحة الأستاذ عبد الحق الميرني- التعامل مع النصوص "بفكر نقدي يستند إلى الواقع والمعاصرة، وبجدلية وموضوعية تعتمدان على معطيات استقرائية واستنتاجات منطقية، بعيداً عن أي توثن أو معتقديّة متزمتة أو موقف تبريري"، كما يقتضى محتوى المنهج أيضاً النظر "إلى تلك القضايا والظواهر من زاوية تعطي الأسبقية للتمثل العقلي على النقد التأثري، أي بنظرة فكرية عقلانية وليس على مجرد التذوق الفني التابع من الإحساس الجمالي والتأثر العاطفي والانفعال الانطباعي بالأثر المدروس"، مما يساعد على "إثبات الوقائع وربطها بالأسباب ووصف الظواهر وتعليلها والبحث عن بواعثها الخفية والظاهرة القريبة والبعيدة، واستخلاص العلاقات التفاعلية بينها وبين غيرها"، فكل ظاهرة هي علاقة في زمان ومكان

من جهود المؤرخ الدكتور عبد الحق الميريني في خدمة الأدب المغربي: شعر الجهاد نموذجاً

محددتين يربط الباحث الناقل لها بينها وبين مستويات مختلفة من الواقع، العلمي تحديداً، وتقييم النصوص بناءً على التزامها بمعايير مؤسسية، لتصاغ هذه النصوص من ثم كموقف تجاه العملية الاجتماعية التاريخية التي أفرزت هذه الظاهرة.

ولما كانت ظاهرة شعر الجهاد متعددة التجليات والأبعاد، فقد بذل الأستاذ عبد الحق الميريني جهداً واضحاً في تتبع مواضيع حضور شعر الجهاد في الأدب العربي؛ حيث رصد هذا الغرض الشعري في نماذج من أشعار الفتوحات الإسلامية، كما تتبعه في الفترة الإدريسية بالمغرب، وأيضاً في فتوحات الملوك المغاربة ضد الثوار والمتمردين والعصاة، وأيضاً في فتوحات السلاطين المغاربة لعدد من مناطق إفريقيا والأندلس والسودان على عهد الدول المرابطية والموحدية والمرينية والسعدية، وكذلك شعر الجهاد في قصائد التحريض على المقاومة والحث على الجهاد نصرته لأهل الأندلس الذين كانوا يستنجدون بالمغرب أمام الزحف المسيحي على شواطئهم، وثورهم، إلى جانب الشعر الوطني خلال الفترة الاستعمارية للمغرب من قبل الإسبان والفرنسيين، ويضاف إلى هذه التجليات حضور آخر لشعر الجهاد بشكل غير مباشر ضمن أغراض شعرية أخرى من بينها شعر المديح والمولديات، وواضح أن هذه الملامح العامة التي توطر ظاهرة شعر الجهاد قد فصل القول فيها الدكتور عبد الحق الميريني في كتابه الموسوم بشعر الجهاد في الأدب المغربي، وقد أسعفه منهج الظواهر والقضايا في مقارنة الموضوع بشكل شمولي وموسع، حيث حاول التوفيق بين جمع النماذج الشعرية من مضانها واستخراج المناسب منها للموضوع، وبين الدراسة والتحليل واستنباط الخلاصات الممكنة، وقد رافق هذا الجهد في الجمع والتحقيق والتوثيق والتحليل، جهد آخر يتمثل في الترجمة للشعراء والملوك وقادة الجهاد والأعلام، مما أسهم في إعطاء نظرة تاريخية عن مواقع الجهاد ومراكزه وأنواع الخطط الحربية في مختلف الأزمنة التي رسدها البحث، خاصة وأن الفترة المدروسة تعتبر طويلة؛ فهي تمتد من عهد الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين حتى عهد السلطان العلوي المولى عبد الرحمن بن هشام، أي من منتصف القرن الخامس الهجري إلى منتصف الثالث عشر، أما سبب توقف البحث عند نهاية عهد المولى عبد الرحمان، فيذكر الأستاذ عبد الحق الميريني أن هذا العهد يمثل بداية "فترة جديدة في تاريخ المغرب، غنية بأحداث متميزة كانت لها انعكاسات على الفكر والأدب بما أشعت عليهما من روح خاصة"، ثم يحيل على عمل الدكتور عباس الجراري الموسوم بـ"النضال في الشعر العربي بالمغرب من ١٨٣٠ إلى ١٩١٢"، وهنا نستحضر أيضاً منجز الدكتور إبراهيم السولامي: "الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية ١٩١٢-١٩٥٦"، لنؤكد سمة التكامل في دراسة الأدب المغربي وتواصل البحث في جل العصور التاريخية، ولذلك لم يكن غريباً اعتماد منهج الظواهر والقضايا لاستخلاص

أهم مرتكزات الإبداع المغربي، إلى جانب المنهج التاريخي الذي سلط الضوء على فترات زمنية معينة، ولذلك لم يخل المنجز الأكاديمي للدكتور عبد الحق الميريني من نفحات تاريخية أثناء تحليل ظاهرة أدبية محضة وهي شعر الجهاد، نظرا للارتباط الوثيق بين خصوصية الإبداع وطبيعة العصر، ولذلك فإن هذا الكتاب بصفحاته التي قاربت ٩٠٠ صفحة من الحجم الكبير في مجلدين ضمن طبعته الأولى عام ١٩٩٦، يعتبر بحق موسوعة لشعر الجهاد في الأدب المغربي، كما يمثل تنمة للعمل العلمي الذي قام به الأستاذ عبد الحق الميريني في كتابه المشهور: "الجيش المغربي عبر التاريخ"، وهو الكتاب الذي حصل به على جائزة المغرب سنة ١٩٦٨، وقد تضمن عدة نماذج من القصائد الشعرية التي اتخذت من الجهاد والمقاومة موضوعاً لها، من وصف لقوة الجيش المغربي وشجاعة الجنود المغاربة، وتاريخ انتصاراتهم في كثير من الحروب التي خاضوها.

شعر الجهاد نبع الوطنية

إن موضوع شعر الجهاد في الأدب المغربي، لم يكن اختياراً تقليدياً أو حديثاً ظرفياً عابراً، بقدر ما كان إحساساً مستمراً بالمسؤولية تجاه الوطن وشعوراً صادقاً بعظمة المغرب وتاريخه المجيد، وإدراكاً حقيقياً بقوة الكلمة في الدفاع عن حوزة الوطن ورموزه، حيث يلاحظ القارئ على امتداد صفحات هذا الكتاب، مدى تقدير المؤلف لموضوعه ووعيه بقيمته الكبيرة، ومن ذلك اختتامه للمقدمة بقوله: "وقد بذلت قصارى جهدي في تحرير هذه الرسالة تحريراً يلائم عظمة موضوعها"، فشعر الجهاد - في نظر الدكتور عبد الحق الميريني - يمثل غرضاً شعرياً هاماً وأولياً من أغراض الشعر المغربي، بقي مغموراً في بطون الدواوين الشعرية والمصنفات الأدبية والتاريخية، إنه أسمى فن شعري يمثل مصدراً خصباً من مصادر تاريخ جهادنا ومعاركنا وقاتلنا للدفاع عن حوزتنا ولدرء هجومات أعدائنا، ومرآة صادقة لصور بطولتنا مجاهدينا وتضحياتهم الماجدة، فهذا الغرض الشعري يجسد أصلاً من أصول الوطنية المغربية، تألفت فيه روائع الانتصارات والفتوحات، ولذلك كان لابد من تدوين تاريخ الملحمة المغربية الكبرى على غرار الملاحم الشعرية الحماسية الكبرى للأمم الغابرة، فيؤدي بذلك شعر الجهاد وظيفتين: الأولى توثيقية باعتباره وثيقة تاريخية تكشف عن أحوال الدفاع والجهاد في المغرب عبر عصوره، والثانية أدبية إبداعية تتجلى في كونه مثل غرضاً شعرياً له جمالياته ووظائفه وأبعاده، فقد كان للجهاد في المغرب حدان: حد للسيف وحد للقريض، وامتزجت قوة الجيوش وشجاعة الفرسان مع قوة إبداع الشعراء وتفاعلهم الوجداني مع المعارك والانتصارات، إذ لم يكن النضال ضد المحتل بالسيف فحسب وإنما شكّلت الكلمة الشعرية سلاحاً فتاكاً بما تستنهض القصائد من همم الرجال والتحميس على الجهاد،

من جهود المؤرخ الدكتور عبد الحق الميريني فى خدمة الأدب المغربى: شعر الجهاد نموذجاً

وهكذا فقد خلص البحث فى هذا الغرض الشعرى إلى نتائج لها صلة بالهوية النفسية للمغاربة والمتمثلة أساساً فى الميل الفطرى نحو الحرية والاستقلال عن أى تبعية مادية أو معنوية، فالأمة المغربىة؛ "كانت حروبها كلها انتصاراً للحق على الباطل، وللهدى على الضلال، ومن أجل تحرير الإنسان المغربى والأرض المغربىة من العدوان والاحتلال، لما جبلت عليه من خصال البطولة والصلافة ومن ميل غريزى إلى الاستقلال والحرية وشيم العزة والكرامة"، فهى أمة محاربة مجاهدة، دفاعاً عن النفس والوطن وحماية للملة والدين والسلطان، وهو مظهر من مظاهر الوفاء جمعت بين أمة محبة وملك محبوب، كما تُظهر ذلك الكثير من قصائد شعر الجهاد، وغيره من أنماط الإبداع الأدبى المغربى عموماً، والتي تؤرخ لملاحم خالدة من البطولات النادرة والمشاهد الرائعة لجهاد المغاربة.

وهكذا، ينظر الدكتور عبد الحق الميريني لشعر الجهاد باعتباره نبع الوطنية الحققة، ويحدد مفهوم هذا الفن الشعرى، بذلك الشعر الذى يهدف الشاعر المغربى من ورائه - ومن خلال قصائده المدحىة والفخرىة والحماسىة والرثائىة والهجائىة والوصفىة- إلى تحقيق جملة من الأهداف والغايات النبىلة، نستحضر منها الآتى:

- الإشادة بشجاعة الجند المغربى - مُشاةً وفرساناً ورماةً- وبلائهم فى حماية الإسلام والعقيدة الدينىة فى هذه الديار وفى غيرها من الديار المجاورة لها برا وبحرا.
- التنويه بإقدامهم البطولى للذود عن حمى الوطن والإيقاع بأعدائه الثائرين الباغين.
- إبراز ضراوة القتال وشدة العراك بين الجيوش المغربىة والجيوش الغاصبة المعتدىة وانهزام فلولها المندحرة المنهزمة.
- وصف دقيق لوسائل الطعان وأسلحة النزال وسنن الاقتتال فى ساحات الوغى.
- التغنى بنشوة الظفر والانتصار: انتصار جنود الله على جنود الشيطان.
- الإشادة بشجاعة الإمام وفروسىته ورسالتة الجهادىة.
- تخليد الفتوحات الظافرة والانتصارات الباهرة وتهنئة الإمام القائد بها.
- التحريض على الاستشهاد فى سبيل الله والاستنجاد بالمجاهدين - الذين أخذ الإيمان بمجامع قلوبهم - كلما اعتدى على حرمة هذا البلد سياسىا وعقائديا.
- هجاء الشوار والعصاة والأعداء وتهديدهم بالوعد والوعيد.
- رثاء ما تنتهى إليه الحركات الجهادىة عادة من شهداء خالدين فى جنات النعيم.

وواضح أن هذه الغايات التي يحققها شعر الجهاد تصب جميعها في رفع الحسّ الوطني وزرع بذور التضحية لأجل الوطن، وبذل الغالي والنفيس لبقاء عزّ البلد وهيبة الدولة، وحماية التراب والهوية، وصيانة ثوابت الأمة ومقدساتها، وبدون شك فإن هذا الموضوع يحتاج للمزيد من الدراسات، وخاصة في ظل الظروف المعاصرة التي تشهد زحف الثقافات والانفتاح على العالم بفضل التكنولوجيا، مما قد يؤثر على رؤية الذات ويقلص من الوازع الوطني فيجعل الشباب ينهر بالآخر وقد يرمى في أحضان تيارات غريبة نظرا لجهله بتاريخ أمته المغربية وحضارته المجيدة وبطولات أجداده وانتصاراتهم، فالبحث في الأدب المغربي ينتج قيم المواطنة وحب الوطن والتشبث بالهوية والاعتزاز بمقامات الشخصية المغربية، ويجعل الناشئة تدرك يقينا أن المغرب أرض البطولات والأمجاد، وأرض الانتصارات والحضارة، فتشعر بالفخر والاعتزاز بالانتماء للوطن وتتهيا للانخراط في حماية مكتسبات المغرب وحماية مصالحه، ولذلك ينبغي الاهتمام أكثر بتخصص الأدب المغربي في جامعاتنا المغربية وتوجيه الطلاب للبحث في مواضيع مرتبطة بالهوية المغربية وثوابت الأمة وتجليات الوحدة التي جمعت عبر التاريخ كل مكونات المجتمع المغربي، وإن تحقيق هذه الغايات السامية يعتبر "واجبا مقدسا" في عتق كل كاتب مغربي أو مؤرخ يشعر شعورا عميقا بحاجة بلاده إلى من يُعرّف بتاريخها الحافل بجلائل الأحداث وعظائم الأمور، وبالذور الذي لعبه المغاربة الأشاوس عبر مختلف الأزمنة والعصور في رقي البشرية وازدهار العمران"، والمؤكد أن هذه المعاني نلمسها في تخصص الأدب المغربي الذي ينبغي أن يتوسع وينمو ويزدهر وأن لا يظل مقتصرًا على نخبة ضيقة من مثقفي المغرب، كما أن موقف المثقف المغربي من ثقافته الوطنية وثوابت أمته ينبغي أن تصدر بعفوية وتلقائية تعبر عن صدق الموقف ورسوخه وثباته وليس "نفاقا اجتماعيا" لانتزاع الاعتراف أو إثارة الانتباه، ولسان الحال يقول مع أبي الطيب:

أريكَ الرضَى لو أخفَتِ النفسُ خافِيا وَمَا أَنَا عَنْ نَفْسِي وَلَا عَنْكَ رَاضِيا

فالمثقف الحقيقي جندي مجهول يحرس قيم الوطن والهوية طواعية وحبًا، لا تكلفًا أو ترفلًا، وإنما يوجهه ضميره الحي ووعيه بقيمة ما يفعل، وإن أفضل الجهاد ما كان كفاحا يوميا في سبيل رقي الوطن وتحسين مكتسباته، ولذلك كان الدكتور عبد الحق الميرني على وعى تام بالدلالات العميقة لمصطلح "الجهاد" الذي وسم به فنا شعريا وطنيا، ولم يختار مصطلحات أخرى مثل شعر الحرب ولا شعر المقاومة أو غيرهما، لأن لفظ الجهاد يتضمن معاني الحرب والمقاومة والنضال ويتجاوزها لمعاني أخرى مرتبطة بالمجاهدة من جهاد النفس و جهاد التنمية و جهاد المواطنة و جهاد الكلمة.. ولا شك أن هذا الاختيار يؤكد انتماء الدكتور عبد الحق الميرني إلى صفوة العلماء الذين يحملون مشروعا ثقافيا نهضويا غير مرتبط بزمان ولا مكان، وإنما يعم نفعه

من جهود المؤرخ الدكتور عبد الحق المريني في خدمة الأدب المغربي: شعر الجهاد نموذجاً

الإنسانية جمعاء، فشعرُ الجهاد يجمع بين جمالية الإبداع الإنساني وجمالية الفكر والحضارة، وقد سُحِنَ هذا المصطلح (أعنى الجهاد) في السنوات الأخيرة بدلالات دخيلة عليه كالعدوان والكراهية والإقصاء، وهو منها براء، علماً أن هذه الظاهرة - أعنى ظاهرة مسخ المفهوم وتحويل دلالاته - تتعرض لها في الغالب المصطلحات الكثيرة الاستعمال والتي تكون على كل لسان، حتى قيل "إن اللفظ إذا أُطلق على كل شيء أصبح لا يعنى أى شيء"، كما "يمكن أن يؤدي الاجتهاد في إزالة الالتباس إلى إفقاره نهائياً"، ومن ثم، فإن تحديد المفاهيم في الدراسات الأدبية واللغوية، "أخطر من مشكلة المنهج نفسه"، وينبغي لتجاوز هذه الخطورة التعامل مع الألفاظ بحذر وإيضاح المقصود من استعمالها، أما إذا قصد اختراع المفهوم ونحت المصطلح فالتعامل مع الألفاظ يصبح أكثر صعوبة، ويبدو أن الدكتور عبد الحق المريني كان على وعى منهجي ومعرفي بكل صعوبات المخاطرة باقتراح لفظ "شعر الجهاد" علامة على غرض شعري جديد، خاصة وأن هذا الإجراء قد جاء ثمرة جهد طويل واحتكاك عميق ودائم بالنصوص والشواهد التي يجمعها قاسم مشترك هو الدفاع عن الوطن والفرح بانتصاره عبر الكلمة الإبداعية الصادقة والجميلة، فكان "شعر الجهاد" وصفا لتلك النصوص وعنوانا بارزا لأطروحة جامعية متميزة، شكّلت إضافة نوعية إلى حقل الدراسات الأدبية والثقافية في تخصص الأدب المغربي.

وهكذا، إن تدقيق المفاهيم وحسن اختيار الألفاظ والمصطلحات، يعتبر ضرورة منهجية لا غنى عنها للباحث الأكاديمي، إذ "لا يزال العلم بخير ما دقق أهل التفكير والتعبير"، وخاصة تدقيق المصطلح الذي يعدّ "أداة من أدوات التفكير ووسيلة من وسائل التقدم العلمي والأدبي"، وإن دقّة التعبير ووضوحه من سمات المنهج العلمي الرصين، فتوظيف مصطلح الجهاد لونا أدبيا وفنيا له دلالات حضارية وثقافية فضلا عن المعاني السياسية والوطنية، وتجلياته كما درسها الدكتور عبد الحق المريني في بحثه القيم: "شعر الجهاد" متعددة وتتواصل مع مجالات أخرى قريبة منه، ذلك أن شعر الجهاد وإن كان تداوله مقتصر على حقل الأدب إلا أن تواصلته مع جملة من الحقول المعرفية والإبداعية والإنسانية تظل واضحة المعالم، ومن ثم قد يصح أن ننظر إليه باعتباره اتجاها في الفكر والإبداع، أكثر منه غرضا شعريا مستقلا، فهو يسم جملة من الأغراض والفنون، ويقتضى - ليكون غرضا شعريا قائما بذاته - بلوغ تراكم معين في الدراسات الأدبية والثقافية حول هذا الاتجاه، يصاحبه انتشار واسع لمصطلح "شعر الجهاد" وذيوعه بين الباحثين والنقاد والمفكرين، باعتبار هذا التراكم وتبني المصطلح، بمثابة اتفاق ضمنى يعلن ميلاد غرض إبداعي جديد.

شعر الجهاد: من اتجاه فکری إلى غرض الشعری

یتأسس المصطلح العلمی عادة على مبدأ الاتفاق؛ أى اتفاق أصحاب حقل معرفى ما على استخدام رمز لغوى مختار بناء على معايير معينة، للتعبير عن مفهوم محدد بينهم. فالاتفاق بهذا المعنى، هو "نمط من الإجماع الحاصل بين العلماء، على اختيار هذه الصیغة دون تلك، أو تعديلها لأسباب لغوية وفنية"، ومن ثم، فهو ضربٌ من الصناعة والصیاعة، يتضمن نوعاً من القبول والاطمئنان، غير أن ما يدل على وجود اتفاق بشأن تداول مصطلح ما، هو الاستعمال المطرد لهذا المصطلح بلفظ واحد ومعنى محدد من قبل الباحثين والدارسين، الشىء الذى يصعب تحقيقه أحياناً، خاصة فى حقل العلوم الإنسانية التى تتميز بالتغير والنسبية، وعندما يتعلق الأمر بمجال الإبداع الأدبى وخاصة الشعر، فالصعوبة تزداد حدتها نظراً لبعض العوامل، نذكر منها، الآتى:

- ارتباط المصطلح الأدبى بالمواضع الثقافية وبالمسارات المتحولة للأدب، وكذلك برؤية المبدع أو الدارس. ومن ثم، فإنه "من الطبيعي أن يكون الاختلاف هو ما يميز الاستعمال، وكتابة وقراءة وتداول المصطلحات فى تجارب المختصين والقراء معاً".

- نسبية المصطلح الأدبى واقتصار مدلوله على حقل معرفى معين، فـ"المصطلحات مقيدة بحقولها المعرفية"، وإنّ أى نقل للمصطلح من مجال معرفى محدد إلى مجال معرفى آخر، يمكن أن يؤثر على التعريف المفهومى لهذا المصطلح، على الرغم من إمكانية استقرار التعريف المعجمى للغوى الذى يكون دائماً نقطة الانطلاق عند أى تحديد للمصطلح بشكل عام، فالمصطلح "لا يتخلص كلياً من دلالاته كوحدة لسانية".

تتكون الظاهرة الأدبية عندما "تتشترك مجموعة من النصوص فى إبراز العناصر نفسها"، والتى عادة ما يتم التعبير عنها بمصطلح محدد "يكتسب مناعته وخصوصيته، من طبيعة اللون المعرفى الذى يقتضيه ويلتزمه"، الشىء الذى قد يصعب تحقيقه مع "شعر الجهاد" فى الأدب المغربى، نظراً لبعض العوامل، نستحضر منها منها، الآتى:

- غزارة الأدب المغربى وتعدد أغراضه ومجالاته؛ وهو أمر طبيعى، لأن الأدب مجال التعبير الإنسانى الأكثر قابلية للربح والكشف عن الأفكار والمشاعر والعواطف، فضلاً عن وظيفة التأريخ والتدوين لسجل الوقائع والأحداث المشاهدة واقعاً أو خيالاً، حساً أو معنىً.

من جهود المؤرخ الدكتور عبد الحق المريني في خدمة الأدب المغربي: شعر الجهاد نموذجاً

- إنَّ "شعر الجهاد" يحتل مساحة شاسعة في نصوص الأدب المغربي، ويتفرَّق في بطون عدة مصنّفات، تنتمي لحقول معرفية وأجناس أدبية متباينة، إلى درجة يصح معها الاستقراء الكلي لهذه النصوص مهمة دونها خرط القتاد.
- إنَّ "مفهوم الجهاد" في الأدب المغربي، لم يكن ثابتاً أو مستقراً، بل هو جهاد متواصل تواصل الحضارة المغربية ذاتها؛ حيث يتماهى الجهاد مع بناء المغرب، يسير بشكل مواز لمسار النهضة والإصلاح والتحديث، وقد تتصاعد وتيرة الجهاد في بعض الفترات التاريخية التي تشهد ظروفًا صعبة، فيكون لكل عصر جهاده، مما يزيد من صعوبة حصر الجهاد في تجليات محددة لا يتحول إلى غيرها.

وهكذا، فإنَّ رصد الجهاد في الأدب المغربي عامة، وفي الشعر على وجه الخصوص، ينبغي أن يتواصل ويستمر مع مستجدات البناء والتنمية والتطوير التي يشهدها بلدنا المغرب، ويتفاعل الأدباء والشعراء مع تلك المستجدات، فيبدعون نصوصاً في إعلاء كلمة الوطن والفرح بمنجزات مغرب ما بعد الاستقلال، مثل حدث المسيرة الخضراء التي أخصبت الشعر المغربي، وكانت وراء ديوان حافل بالأشعار الوطنية، وأيضاً مواكبة الشعر الوطني المغربي تطورات ملف استكمال الوحدة الترابية للمملكة، وخاصة الدفاع عن المغاربة المحتجزين بمخيمات العار بتندوف والدعوة إلى الإفراج عنهم ورفض الاستعباد والظلم، والتعبير عن همومهم وما يكابدونه في هذه المخيمات المهينة، فمنذ سنة ١٩٩١ بدأ الصحراويون المحتجزون في تندوف يعودون أفواجا إلى أرض الوطن، فوجد الشاعر أحمد عبد السلام البقالي -على سبيل المثال لا الحصر- يورخ شعره لهذا الحدث النضالي في تاريخ عودة المغاربة من سجون تندوف، فيخصص لهذه العودة قصيدة سماها: "مرحبا بالعائدين"، يقول فيها:

بنى صحراء مغربنا الأبية	لكم من أهلكم أزكى تحية
رجعتم بعد أسر طال دهرها	لأرضكم المطهّرة النقيّة
إلى أهل بهم شوق عظيم	إليكم ما خلت منه طويّة
يعانق جمعكم وطن غفور	رحيم روحه بكم حفيّة
يبارك عودكم بعد اغتراب	طويل مكره وسَط البريّة
وخطف واعتقال واغتيل	وتشويه لأدمغة فتية
وزرع الشك والبهتان فيها	وغرس الحقد بالطرق الخفية

من جهود المؤرخ الدكتور عبد الحق الميريني في خدمة الأدب المغربي: شعر الجهاد نموذجاً

كانت مخطوطة، حيث احتاج هذا الفن الشعري إلى تأصيله عبر دراسة متأنية وعميقة، ليرز من خلالها ملامح إبداع شعري ممتد طوال عصور مختلفة، ويغدو بمثابة غرض شعري جديد يضاف إلى الفنون الشعرية المعروفة في الأدب المغربي، والذي يطلق عليه "شعر الحماسة" في الأدب العربي قديماً، وشعر الحرب حديثاً، ولا شك أن خصوصية الموضوع وارتباطه برسالة المثقف عموماً من ضرورة صيانة مكتسبات الأمة التي ينتمي إليها الباحث، كانت مصدر صبره ومصابرته على ما كابده في سبيل إتمام هذا العمل القيم، خاصة وأنه جهد يتمّ جهداً سابقاً وهو الكتاب الموسوعة: الجيش المغربي عبر التاريخ.

إن القيمة العلمية لكتاب شعر الجهاد في الأدب المغربي، لا تتعلق فقط بالنتائج المهمة المتوصل إليها، ولا بتأصيل غرض شعري جديد فحسب، وإنما تكمن أيضاً في تقديم بيبليوغرافيا متخصصة في أدب الجهاد، حيث تتضمّن هذا الكتاب النفيس عدداً هائلاً من المصادر والمراجع سواء منها ما تم إثباته في قائمة المصادر والمراجع أو ما تمت الإشارة إليه في الهوامش، وهي بيبليوغرافيا دقيقة وشاملة، تتم عن مدى عمق اطلاع المؤلف الدكتور عبد الحق الميريني على جملة وافرة من الكتب والمخطوطات والمجلات والبحوث الجامعية في موضوع شعر الجهاد وما له صلة بالمقاومة والدفاع عن الوطن، مما وفر للباحثين والمهتمين بيبليوغرافيا متخصصة تساعد على إتمام دراسة هذا الغرض الشعري أو التوجه الإبداعي الوطني، وفي الآن نفسه حماية المنجز وتأمينه من خلال إعادة استحضاره ولفت الانتباه إليه، علماً أن العودة لكثير من المصادر قد تضيء جوانب كثيرة من الموضوع وتضيف إليه زوايا أخرى ورؤى جديدة، يمكن أن تخدم الأدب المغربي وتجعله تخصصاً علمياً مستقلاً له مفاهيمه وأدواته الإجرائية، وله أيضاً موضوعاته وسماته ورواده.

وأخيراً، بعد هذا السفر في كشف بعض من جهود الدكتور عبد الحق الميريني، عبر قراءة قراءة كتابه: "شعر الجهاد في الأدب المغربي"، يمكن القول بكثير من الاطمئنان: إن جهود هذا المؤرخ في خدمة الأدب المغربي، تتجاوز رصد تجليات شعر الجهاد في هذا الأدب، وتتبع موضوعاته ومجالات حضوره وتأثيره، إلى تأصيل غرض شعري جديد، سمته الإخلاص في حب الوطن والفناء في خدمته، من خلال الانكباب على مواضيع لها صلة بالهوية المغربية، والخصوصية الثقافية والنفسية للمغاربة.

المصادر والمراجع

أولاً: الكتب المطبوعة

- الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياها، ج ١، عباس الجراري، مطبعة المعارف الجديدة بالرباط، ط ٣، ١٩٨٦.
- أدب العجيب في الثقافتين العربية والغربية، خالد التوزاني، منشورات دار كنوز المعرفة، الأردن، ط: ١، ٢٠١٥.
- الأدب والغربة: دراسات بنيوية في الأدب العربي، عبد الفتاح كيليطو، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط: ٤، ٢٠٠٧.
- إشكالية المصطلح في نقد الأدب الإسلامي، رضوان بن شقرون، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية - ظهر المهرز - فاس، عدد خاص، ندوة المصطلح النقدي وعلاقته بمختلف العلوم، ع: ٤، ١٩٨٨.
- إيمانويل فريس برنار موراليس، قضايا أدبية عامة، آفاق جديدة في نظرية الأدب، تر: لطفى زيتوني، عالم المعرفة، ع: ٣٠٠، فبراير ٢٠٠٤.
- بناء المصطلح (العجيب والغريب والخارق والفاثناستيك) بين قيود المعجم وقلق الاستعمال، عبد الحى العباس، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، ط: ١، ٢٠٠٧.
- التراث المغربي: التحديات والأبعاد التنموية، خالد التوزاني، منشورات الجمعية المغربية للتراث والتنمية، ط: ١، ٢٠١٥.
- خطاب المنهج، عباس الجراري منشورات النادي الجراري - الرباط، ط ٢: ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.
- سلطة المثقف بين الاقتراب والاعتراب: قراءة في سيرة لسان الدين بن الخطيب وتجربته السياسية، محمد فاتح زغل، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ط: ١، ٢٠٠٦.
- شعر الجهاد في الأدب المغربي من عهد الأمير يوسف بن تاشفين المرابطي حتى عهد السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام العلوي، تأليف عبد الحق الميريني، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط: ١، ١٩٩٦.
- الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية ١٩١٢-١٩٥٦، إبراهيم السولامي، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٧٤.

من جهود المؤرخ الدكتور عبد الحق المريني فى خدمة الأدب المغربى: شعر الجهاد نموذجاً

-
- عيون (ديوان)، أحمد عبد السلام البقالى، المطبعة الملكية، الرباط، د.ط، ٢٠٠٥.
 - مصطلحات النقد العربى لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين، قضايا ونماذج، الشاهد البوشيخى، دار القلم، ط: ١، ١٩٩٣.
 - المصطلح النقدى فى نقد الشعر: دراسة لغوية وتاريخية نقدية، إدريس الناقرى، دار النشر المغربية، البيضاء، ١٩٨٢.
 - المصطلحات العلمية فى اللغة العربية فى القديم والحديث، مصطفى الشهابى، مطبوعات المجمع العلمى العربى، دمشق، ط: ٢، ١٩٦٥.
 - معركة وادى المخازن فى الأدب المغربى، عباس الجرارى، صدرت الطبعة الأولى عام ١٩٨٥، والثانية عام ١٩٨٨.
 - معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، سعيد علوش، دار الكتاب اللبنانى، بيروت، سوشيريس، الدار البيضاء، ط: ١، ١٩٨٥.
 - ثانياً: ندوات
 - الندوة الدولية الأولى لجمعية اللسانيات بالمغرب، (صواته، تركيب، دلالة، تعريب، مصطلح: من ٢١ إلى ٢٤ أبريل ١٩٨٧) إعداد: عبد القادر الفاسى الفهرى، وإدريس السغروشنى، ومحمد غالىم، منشورات عكاظ، الرباط، ١٩٨٨.
 - ثالثاً: مقالات
 - تداخل المصطلحات وإشكاليات الأنماط الشعرية العربية الضائعة، محمد الدناى، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، العدد: ٤، ١٩٨٨.
 - صمت الظواهر: مقاربات فى سؤال المنهج، إسماعيل ناشف، مجلة إضافات، العدد: ١٠، ربيع ٢٠١٠.
 - العجائبية فى رواية "ليلة القدر للظاهر بن جلون"، عبد الملك مرتاض، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية وجدة، العدد: ٤، ١٩٩٤.
 - فن العرشيات فى الشعر المغربى، عبد الجواد السقاط، مجلة دعوة الحق، العدد: ٢٦٨، رجب ١٤٠٨هـ/ مارس ١٩٨٨.
 - مجلة اللسان العربى، العدد: ٣٩، (يوليو/حزيران ١٩٩٥).

Acknowledgements

We would like to express our thanks to reviewers for their valuable suggestions on an earlier version of this paper.

Declaration of Conflicting Interests

The author(s) declared no potential conflicts of interest with respect to the research, authorship and/or publication of this article.

Funding

The author(s) received no financial support for the research, authorship, and/or publication of this article.

REFERENCES

Abbas Al-Jarari, A., (1986), *"Moroccan literature through its phenomena and issues"*, 3th edition, Rabat: Al-Maaref Al-Jadideh Printing House.

Al- Al-Touzani, K., (2015), *"The Literature of the Wonder in the Arab and Western Cultures"*, Chap All, Jordan: Distributions of Dar Kunouz Al-Maarifa

Kilito, A., (2007), *"Literature and Strangeness: Structural Studies in Arabic Literature"*, 4th edition, Casablanca Publications.

Chakroun, R., (1988), *"The Problem of the Term in Criticism of Islamic Literature"*, Journal of the Faculty of Arts and Humanities, Fez, Special Issue, Symposium on the Critical Term and its Relationship to Various Sciences.

Fris Bernard Morales, E., (2004), *"General Literary Issues, New Horizons in Literary Theory"*, translated into Farsi by: Lotfi Zitouni, Spreads of the World of Knowledge.

Al-Abbas, A., (2007), *"The construction of the term (the wondrous, the strange, the supernatural, and the fantastic) between lexicon restrictions and usage anxiety"*, 1th edition, Morocco: Chakhaneh and National Harfchini.

Touzani, K., (2015), *"Moroccan Heritage: Challenges and Development Dimensions"*, 1th edition, Publications of the Moroccan Association for Heritage and Development.

Al-Jarari, A., (1995), *"Discourse of the Method"*, 2th edition, Rabat, Al-Jarari Club publications.

Zaghal, M. F., (2006), *"The authority of the intellectual between proximity and alienation: A Reading of the Biography of Lisan al-Din Ibn al-Khatib and his Political Experience"*, 1th edition, Damascus: Publications of the Ministry of Culture.

A review of Abd al-Haq al-Marini's services to Moroccan literature: A case study of jihad poetry

Al-Marini, A., (1996), *"Poetry of Jihad in Moroccan Literature from the Era of Prince Youssef Bin Tashfin Al-Murabiti until the era of Sultan Moulay Abdel-Rahman Bin Hisham Al-Alawi"*, 1th edition, Publications of the Ministry of Endowments and Islamic Affairs.

Soulami, I., (1974), *"Moroccan National Poetry in the Era of Protection 1912 – 1956"*, Casablanca Publications.

Abdessalam Al-Baqali, A., (2005), *"Oyoun (Diwan)"*, Rabat: Royal Printing House.

Al-Bushikhi, A., (1993), *"Terminology of Arab Criticism among Pre-Islamic and Islamic Poets, Cases and Models"*, first chapter, Dar Al-Qalam publications.

Al-Naqouri, I., (1982), *"The Critical Term in Criticism of Poetry: A Linguistic and Historical Critical Study"*, The Moroccan Publications.

Shehabi, M., (1965), *"Scientific Terms in the Arabic Language in Ancient and Modern Languages"*, 2th edition, Damascus: Printing House of the Arab Scientific Academy.

Al-Jarari, A., (1988), *"The Battle of Wadi Al-Makhazin in Moroccan Literature"*, 2th edition.

Alloush, S., (1985), *"A Dictionary of Contemporary Literary Terms"*, 1th edition, Beirut: Publications of the Lebanese Book House, Sochpress, Casablanca, i: 1.,

Al-Danay, M., (1988), *"Terminology overlap and the problems of lost Arab poetic styles"*, Fez: Journal of the Faculty of Arts and Humanities, No: 4.

Nashif, Ismail, (2010), *"Silence of phenomena: Approaches to the question of the curriculum"*, Addafat Magazine, Issue: 10.

Murtad, A., (1994), *"The Miraculous in the Novel "The Night of Power by Taher Bin Jelloun"*, Journal of the College of Arts and Humanities, No: 4.,

Al-Saqqat, A., (1988), *"The Art of Arshiyat in Moroccan Poetry"*, Call of the Right Magazine, No: 268.